محاولة لتحديث
المسألة اليهودية

Ilan Halevi, *La question Juive: La Tribu, la loi, l'espace,* Paris: Editions de Minuit, 1981, 300p.

كثيرة هي الكتب التي تناولت«المسألة اليهودية» في أوروبا الغربية، ولعل أشهرها ذلك الذي كتبه كارل ماركس الشاب، سنة ١٨٤٣، رداً على كتاب يحمل الاسم نفسه صدر في السنة نفسها وألفه اللاهوتي البروتستانتي الألماني، وأستاذ ماركس السابق برونو باور.

والسمة العامة لمثل هذه الكتب، بما في ذلك كتاب ماركس الشهير، أنها تطرح «المسألة اليهودية» بوصفها مسألة مطروحة على المجتمعات الغربية، سواء على وعيها المسيحي الذي اخترع «معاداة السامية» انطلاقاً من أن اليهود هم مرتكبو الجرم المطلق المتمثل في «قتل الله» (أي قتل المسيح وصلبه؛ وهو الذي يعتبر ضمن منطق التثليث المسيحي: الأب والابن والروح القدس، إلهاً) أم على وعيها العلماني القومي الذي تصدى إلى «المسألة اليهودية» بالالغاء، إما بواسطة الدمج الذي عرفته الديمقراطيات الغربية والذي يعتبر اليهودي مواطناً دون النظر إلى صفته الدينية، عملا بمبدأ فصل الدين عن الدولة، أو كما عرفته الفاشيات والأنظمة التوليتارية الغربية، والتي كانت النازية الألمانية، أبرز الأمثلة عليها، والتي حاولت الغاء اليهودي، بوصفه النقيض للقومي، طالما أنه إنسان «كوسموبوليتي»، كوني، مهزوز الانتماء.

في كل هذه الحالات، كانت «المسألة اليهودية» أحد أوجه التاريخ الاجتماعي ــ السياسي ــ الحقوقي الأوروبي، حتى اقامة دولة اسرائيل التي أعقبت الحرب العالمية الثانية وهزيمة هتلر، فنظر إليها على أنها حل «المسألة اليهودية» في الغرب... خارج أوروبا.

والكتاب الذي صدر مؤخراً في باريس تحت عنوان: «المسألة اليهودية» القبيلة، القانون والفضاء للكاتب الاسرائيلي اللاجىء في فرنسا ايلان هاليفي(*)، يطرح هذا الموضوع بشكل أوسع بكثير، من تلك «الزاوية» الأوروبية التي حشر فيها باستمرار باتفاق الجميع تقريباً.

فإذا كان الاسرائيليون، مثلاً، ومنظرو الصهيونية يرون أحد أوجه شرعية الدولة الاسرائيلية في كونها تمثل الحل لمشكلة اضطهاد اليهود، كما عرفها التاريخ الأوروبي بشكل خاص، فإن تأكيد العرب على أوروبية «مسألة اليهودية» إنما هو في الآن نفسه تأكيد على برانيتها عن المنطقة العربية، وتأكيد على أن اسرائيل قد جاءت ضمن نسق عدواني غربي على الشعوب العربية.

وإيلان هاليفي أراد أن يبين أن القضية أوسع

(*) سبق له أن نشر كتاب «تحت اسرائيل، فلسطين» عن منشورات السيكومور، سنة ١٩٧٨ (بالفرنسية).